

إلى أبي تراب

نظمت في النجف الأشرف

م ١٩٧٧

غالى يسارُ واستخفَّ يمينُ
نُجفى وتُعبد والضَّغائن تغتلي
وتظَلَّ أنتَ كما عهدتُكَ نعمةً
فرايتُ أن أرويك محضَ روايةٍ
فلأنتَ أروع إذ تكون مجرداً
ولقد يضيق الشكل عن مضمونه
بك يا لكنهك لا يكاد يبين
والدَّهر يقسو تارةً ويلين
للآن لم يرقى لها تلحين
للناس لا صورٌ ولا تلوين
ولقد يضرُّ برائعِ تميم
ويضيع داخلَ شكلِهِ المضمون

* * *

إني أتيتك أجتليك وأبتغي
وأغضُّ من طرفي أمامِ شوامخِ
وأراك أكبر من حديثِ خلافةِ
ورداً فعندك للعطاشِ مَعين
وقع الزَّمانُ وأُسُهْنُ متين
يستامها مروان أو هارون

لك بالنفوس إمامةً فيهُون لو
عصفت بك الشورى أو التعيين
فدع المعاول تزيثراً قساوةً
وضراوةً إنَّ البناء متين

* * *

أباتراب ولتُراب تفاخرُ
والنَّاس من هذا التُّراب وكلُّهم
لكنَّ من هذا التُّراب حوافرُ
فإذا استطالَ بك التُّراب فعاذرُ
ولئن رجعت إلى التُّراب فلم تمت
لكنَّه ينمو ويفترع الثرى
إن كان من أمشاجه لك طين
في أصله حمأً به مسنون
ومن التُّراب حواجبٌ وعميون
فلأنت من هذا التُّراب جبين
فالجذر ليس يموت وهو دفين
وترفُّ منه براعمٌ وغصون

* * *

بالأمس عدت وأنت أكبرُ ما احتوى
فسألت ذهني عنك هل هو واهمُ
وهل الذي ربَّى أبي ورضعتُ من
أمَّ أنه بعدَ المدى فتضخمت
أم أن ذلك حاجة الدنيا إلى
فظلبت من ذهني يميظ ستائراً
حتى انتهى وعمي إليك مجرداً
فإذا المبالغ في علاك مقصراً
وعمي وأضحمُ ما تخال ظنون
فيما روى أم أن ذاك يقين
أمي بكلِّ تراثها فأمون
صوِّرٌ وتُخدع بالبعيد عيون
متكاملٍ يهفوله التكوين
لعب الغلوُّ بها أو التَّهوين
ما قاده الموروثُ والمخزون
وإذا المبذرُ في ثناك ظنين

ما قد رَوَى التَّارِيخُ والتَّدْوِينُ
نَزَرَ وَإِنَّكَ بِالْأَشَدِّ قَمِينُ

وَإِذَا بِكَ الْعَمَلُاقُ دُونَ عِيَانِهِ
وَإِذَا الَّذِي لَكَ بِالنُّفُوسِ مِنَ الصَّدَى

* * *

وَكَلَّاكَمَا بِالرَّائِعَاتِ قَمِينُ
يُرْوِي السَّنَا وَيُتْرَجِمُ النَّسْرِينُ
مَا نَالَ مِنْهَا الْوَهْنُ وَالتَّوْهِينُ
يُؤْذِي الْأَصَائِلَ أَنْ يَسُودَ هَجِينُ
وَعَلَا مَكَانَ أَنْتَ فِيهِ مَكِينُ

أَأَبَا الْحُسَيْنِ وَتِلْكَ أَرُوعَ كِنِيَّةٍ
لَكَ فِي خِيَالِ الدَّهْرِ أَيُّ زُؤَى لَهَا
هَنَّ السَّوَابِقُ شَرْبًا وَبِشُوطِهَا
وَالشُّوْطُ مَمْلَكَةُ الْأَصِيلِ وَإِنَّمَا
فَسَمَا زَمَانٌ أَنْتَ فِي أَبْعَادِهِ

* * *

فَلَهَا عَلَى ذَمِّ الزَّمَانِ دِيُونُ
مَا فِيهِ حَتَّى بِالتَّصَوُّرِ عَوْنُ
وَالسَّلَامُ أَنْتَ التَّيْنُ وَالتَّزَيْتُونُ
وَاللَّيْلُ فِي الْمِحْرَابِ أَنْتَ أَنْبِيْنُ
وَتَمُوتُ مِنْ جُوعٍ وَأَنْتَ بَطِينُ
وَتَفْخُ حَتَّى يَفْزَعُ التَّيْنُ
أَنْ الْجَلَالُ بِمِثْلِهِ مَقْرُونُ

الْأَوْكُ الْبَيْضَاءُ طَوَّقَتِ الدُّنَا
أُفُقٌ مِنَ الْأَبْكَارِ كُلِّ نَجُومِهِ
فِي الْحَرْبِ أَنْتَ الْمَسْتَحَمُّ مِنَ الدَّمَا
وَالصُّبْحُ أَنْتَ عَلَى الْمَنَابِرِ نَغْمَةٌ
تَكْسُو وَأَنْتَ قَطِيفَةٌ مَرْقُوعَةٌ
وَتَرْقُ حَتَّى قَبْلَ فَيْكَ دَعَابَةٌ
خُلِقَ أَقْلٌ نَعْوَتِهِ وَصِفَاتِهِ

* * *

وصفاتك البيضاء حور عين
وبحيث ليلي يوجد المجنون
فيما روه مبرر موزون
ما مثلها فيما أخال يمين
ولقد فعلت فما ارعوى المفتون
صرعى ودين معلق ورهون
عيش يليق بمثله التائبين
جمراً وتاه بجمره الكانون
توق إلى لذعاته وسكون

ما عدت ألو في هواك ميماً
فبحيث تجتمع الورود فراشة
وإذا سألت العاشقين فعندهم
فسماً بسحر زؤاك وهي إلية
لورمت تحرق عاشقك لما ارعوا
وعذرتهم فلذى محاريب الهوى
والعيش دون العشق أولذع الهوى
ولقد عشقتك واحتفت بك أضلعي
وفداء جمرك إن نفسي عندها



فمتى التقى المذبوح والسكين
والنهران ومثلها صفين
ويد تجذ وتجدع العرنيين
أجيبك المذبوح والمطعون
في أن يقاضى دائر ومدين
مطرت عليك وكلهن هتون
أن عاد سعيهم هو المدفون
أتخاف من غرق وأنت سفين
ويهز سمع الدهر منك رنين

ورجعت أعذر شاتيك بفعلهم
بدر واحد والهراس وخبير
رأس يطيح بها ويندر كاهل
هذا رصيدك بالنفوس فما ترى
ومن البداهة والديون ثقيلة
حقد إلى حسد وخسة معدن
راموا بها أن يدفونك فهالهم
وتوهموا أن يغرقوك بشتهم
ستظل تحسبك الكواكب كوكباً

وتعيش من بعد الخلود دلالةً في أن ما تهوى السماء يكون

